

هل التدخين من الخبائث



بقلم الدكتور محمد نزار الدقر

نبات التبغ: (١)، (٢)

التبغ من الفصيلة الباذنجانية وسمي بهذا الاسم نسبة إلى منشئه في جزيرة **Tabago** الأمريكية حيث دلت بعض الحفريات عثر عليها هناك يعود تاريخها إلى عام ٦٠٠ ق.م منها غليون من الفخار لتدخين التبغ. وفي عام ١٩١٥ جاء الرحالة أفيدوا بأوراقه إلى أوروبا.

وقيل أن كرسطوفر كولومبس هو أول من جاء بأوراقه لتدخينها في أوروبا، إلا أن السفير الفرنسي في البرتغال جان نيكوت هو الذي استقدم بذوره وزرعها في حديقة منزله بقصد الزينة، فأوراقه ببيضاوية لزجة كبيرة الحجم وأزهاره جميلة حمراء..

وبعد ذلك شاع استعماله في أرجاء العالم ودخل البلاد الإسلامية حوالي سنة ألف هجرية وعرف في بلاد الشام باسم التتن (الدخان).

مكونات التبغ الضارة:

يتكون التبغ من أكثر من ٣٠٠ مادة تختلف حسب نوع التبغ وطريقة تدخينه (١).

إذ تحوي أوراقه على عدد من أشباه قلويات سامة منها النيكوتين والبيروليدين وسموم أخرى غير معروفة تماماً (٣).

النيكوتين : مادة كيماوية تصنف من أشباه القلويات الطيارة الشديدة السمية (٣).

ويعتبر الدوائيون من السموم العصبية المهلكة بحيث أن دخول قطرة واحدة منها إلى البدن الحي تؤدي إلى موته المباشر (٤)..

ويشكل النيكوتين ٢_٤ ويشكل النيكوتين ٢_٨% من وزن أوراق التبغ الجافة.

وأكد المؤتمر الدولي عن الصحة الذي أُنْعِد عام ١٩٦٧ أن النيكوتين يمكن أن يؤدي إلى نوع من الإستعباد كالذي يلاحظ عند تعاطي الخمر أو الهيروئين.

كما أنه يفتح الباب أمام سلسلة من العوامل المسرطنة والسامة، وتأثير مواد أخرى يحتويها دخان السجائر(٤).

اكتشف النيكوتين العالمان الألمانيان بوسان ورايمان وأسمياها بهذا الاسم نسبة إلى جان نيكوت(١).

وهو ليس السم الوحيد الموجود في التبغ، فلا عبرة بقولهم عن سجائر بلا نيكوتين، فاحترق السجائر ينجم عنها دخان يحتوي على ١/٤ النيكوتين(١).

وهو ليس السم الوحيد الموجود في التبغ، فلا عبرة بقولهم عن سجائر بلا نيكوتين، فاحترق السجائر ينجم عنها دخان يحتوي على ١/٤ النيكوتين الموجود في التبغ علاوة على سموم أخرى من نواتج الاحتراق هي الأسس البريدية Bases Pyridic أهمها :

السيانيد(٤): أو حمض سيانور الماء الذي يوجد في دخان التبغ بنسبة ١٦٠٠ إلى المليون في حين لا تتسامح دور الصناعة بتجاوزه ١٠ أجزاء من المليون من دخانها، وزيادته إلى أعلى من هذه النسبة تؤدي إلى انسمامات خطيرة.

أو أكسيد الفحم CO :

وهو غاز سام جداً، وتركيزه في دخان التبغ يفوق ١٠٠٠ مرة التركيز المسوح به في هواء الشهيق العادي، وهو يتحد(١) مع هيمو غلوبين الدم مما يمنع وظيفة الدم في نقل الأوكسجين، وهذا سبب قصر النفس عند المدمنين على التدخين.

ومنها الأمونياك الذي يؤدي إلى التهاب الغشاء المخاطي للأنف والعين والحنجرة ويثير البصاق والسعال عند المدخنين(١)، ومنها غاز الإيتان والميتان والبروبان ومواد قطرانية مسرطنة لما تحتوي عليه من مادة البنزين..

كما يحتوي على مواد مسرطنة أخرى كالفينول والفورمالدهيد والأكروئين ونتروسامين و ٤ _٣ دوبانتربيرين وغيرها.

وتحتوي خلاصات التبغ على كمية قليلة من الفحوم الهيدروجينية المتسلسلة المسرطنة والتي ترتفع نسبتها بعد الاحتراق(٢).

الإنسمام الحاد بالتبغ : ينجم عن التعرض لكميات كبيرة دفعة واحدة(٣)كما يحصل أحياناً عند عمال التبغ والزراعة باستعمال مناقيع التبغ كقاتلة للحشرات.

والمقدار السام هو ٣٠ غ من هذا المنقوع أو ٢ غ إذا استنشقت عطوساً أو ٣٠ غ سجائر عند غير المدمن. ويتجلى الإنسمام الحاد بحس احتراق في البلعوم وألم في الشرسوف وأقياء وانتفاخ بطن مع اسهال وشحوب وأعراض عصبية من هياج ورجفان ودوار واختلاج ثم همود وسبات مع بطء في التنفس وضعف في القلب قد ينتهي بالموت خلال ربع ساعة إلى ٢٤ ساعة.

مضار عادة التدخين

" الإنسمام المزمن بالتبغ "

أكدت إحصاءات وزارة الصحة الأمريكية أن تعاطي التدخين يؤدي إلى وفيات تعادل ١٠٠٠ وفاة يومياً في الولايات المتحدة وهو رقم يزيد ٧ مرات عن الوفيات الناجمة عن حوادث الطرق(٤)، وتتجم عن الإنسمام البطيء والتخزين المزمن لدخان التبغ بسبب ما يحتويه من سموم ومواد قطرانية وفحوم وطيلة فترة التدخين وعدد السجائر المدخنة يومياً، وحسب طريقة استعمالها فالغليوم الطويل والنجيلة تخفف من مقادير السموم الممتصة وخاصة الأخيرة إذ يذوب قسم منها في ماء النرجيلة(٢).

وفي تقرير اللجنة الطبية الأمريكية نشر في ١٩٦٤/١/١١ أكد أن التدخين ضار بالصحة حتماً وسبب رئيسي لعدد من الأمراض المميتة. ولا تختلف الآثار الضارة كثيراً بين تدخين السجائر ذات المصفات **Felter** وغير المصفات ويموت المزيد من البشر بعد سنوات من الألم والزلة والعجز.

وتؤكد الأبحاث(٦) أن ضرر التدخين لا ينحصر بالمدخن، فالجلوس في غرفة مغلقة فيها مخنون ولمدة أربع ساعات فإنها تعادل تدخين ١٠ سجائر.

وأن مضار التدخين لا تحدث جميعها عند كل المدخنين، لأن احتمال الأبدان يختلف حسب بنية الشخص وطبيعة حياته وطرارز ونوع التدخين، إلا أن مضاره المشكل الحقيقي هو أنه لا يمكن التدخين ولا لطبيبه أن يعرف هل سينجو من مضاره الخطيرة أم لا، ولن يعرف أيضاً متى، ولا نوع المرض في لحظة حرجة لا ينفع بعدها الندم.

أما استنشاق مسحوق التبغ "سعوياً" إلى داخل المنخر، فإنه عدا عن سميته النيكوتين، فمسوق التبغ يخرش الغشاء المخاطي للأنف مؤدياً إلى التهابه الزمن، وإذ وصل التخريش إلى نفير أوستاش أدى إلى التهاب الأذن الوسطى واضطرب السمع، والتخريش المزمن يمكن أن يؤدي إلى سرطان موضع(٣).

وأما مضغ التبغ فهو أشد طرق تعاطي التبغ ضرراً، فعدا عن تأثيره السام فهو يخرش بطانة الفم والبلعوم والمرئ ويزيد إفراز اللعاب مما يضطر المدمن إلى عادة البصاق والتف. المستمر كما يؤدي إلى التهاب مزمن في الأغشية المخاطية مع التهاب اللثة واللسان، وإلى جفاف الفم الدائم وسرطان اللسان(٢).

مخاطر التدخين على جهاز التنفس:

١. النيكوتين والقطران يخربان النسيج المبطن للأسناخ الرؤية مما يؤدي إلى نقص واضح في الوظائف التنفسية (من نقص السعة التنفسية، نقص حجم الهواء الزفيري ونقص نفوذ الأغشية الرئوية)(٧).

٢. إن دخان التبغ يصيب بالشلل الأهداب المهتزة للقصبات، ويعطل بذلك أهم وسيلة من وسائل الدفاع الموجودة في الطرق التنفسية، ويزداد التأثير السمي على الأهداب كلما زادت كثافة التدخين وتقارب الفواصل بين سيجارة وأخرى(٦).

كما يزيد إفراز المخاط الذي يساعد بدوره على نهى النشاط الهدي. وتضعف وظيفة البلعمة أيضاً مما يعطل الدفاع ضد العوامل المؤذية الداخلة مع هواء الزفير مما يجعل إصابة المدخنين المدمنين بذات القصبات والرئة تبلغ ٥٠% .

ويؤهب التدخين للإصابة بانتفاخ الرئة.

٣. العلاقة السببية بين التدخين وسرطان الرئة أصبحت واضحة بما لا يقبل الشك(٨و٥) : هذا ما يؤكد تقرير اللجنة الاستشارية الأمريكية، ويضيف أن خطر نشوء السرطان يزداد مع طول فترة التدخين وعدد السجائر التي يدخنها ويقل بقطع التدخين، وأن خطر الإصابة عند المدخن المعتدل بسرطان الرئة يبلغ ٩ أضعاف الخطر الذي يتعرض له غير المدخن. أما المدمن فإن خطر تعرضه للإصابة يعادل ٢٠ ضعفاً. ففي إحدى الإحصاءات تبين ظهور ٦٠ إصابة بسرطان الرئة بين ١٠٠٠ مدخن مقابل إصابتين فقط

بين ١٠٠٠ شخص غير مدخن.

كما أكدت الأبحاث أن التصفية **Filter** المستعملة في السجائر لا تضبط شيئاً من الفورمالدهيد والأكروالين والأملاح الأمونياكية الموجودة في دخان السجائر وهي كلها مركبات يمكن أن تسبب الطفرات في الخلايا المؤدية للسرطان. وعليه المصافي إذا كان توقف كمية من القطران، لكنها لا تلقي من أثر السجائر المسرطن الأكيد.

خطر التدخين على القلب والأوعية:

أجريت تجارب في جامعة واشنطن(٩) سجلت فيها بدقة نسبة هرموني الأدرينالين والنور أدرينالين في دماء عشرة متطوعين قبل وأثناء وبعد التدخين وقد تبين بشكل لا يقبل الجدل أن التدخين يزيد بشكل حاد إنتاج هذه الهرمونات بعد ١٠ دقائق من بدنه يرتفع معها بنفس الوقت عدد النبض والضغط الدموي، مما يؤدي إلى إصابة القلب بالإرهاق ويجعله مستعداً للإصابة بالدم لأن سموم التدخين تؤدي إلى استحالة شحمية في جدران الشرايين الباطنة وتليف القميص المتوسط لها(٣) أي إلى إصابتها بـ " العصيدة الشريانية" .

ويؤكد الدكتور **Alton Ochs** (٤) أن الوفيات الناجمة عن الإصابات القلبية الوعائية معظمها يعود إلى الدخين. ويرجع سبب هذا إلى ثلاثة أمور أولاً نقص الأوكسجين عند المدمنين لتعطل قسم كبير من الخضاب باتحاده مع أول أكسيد الفحم وهذا يفرض جهداً إضافياً على قلب المدخن.

ثانيهما زيادة القلبية والذي يسببها النيكوتين الذي يقود إلى زيادة الجهد المضني للعضلة للشرايين الناجم عن النيكوتين والذي يضيف عبئاً آخر على القلب.

وللتدخين تأثير على الأوعية المحيطية(١٠)، فالتهاب الأوعية الخثرية الساد (داء برجر) .

يندر حصوله عند غير المدخنين، إذ تصاب الأوعية الصغيرة السطحية وتتسد مؤدية إلى ظهور ألم يأتي على المشي " العرج المتقطع" ولا يتراجع المرض ما لم يقلع المصاب عن التدخين.

كما يعد التدخين عاملاً رئيسياً في تفاقم داء **رينو** الذي يحدث غالباً عند النساء والمدخنات العصبيات.

ويتصف بشحوب ثم زرقة ثم احمرار في اليدين وقد يؤدي إلى تقرح وموات في الأصابع.

هذا وتشير تقارير(٤)المجمع الطبي الملكي البريطاني (١٩٧١) إلى أن تعاطي التدخين يؤدي اليوم إلى عدد من الوفيات لا تقل عن تلك التي كانت تسببها الجائحات كالكوليرا في الأجيال السابقة.

خطر التدخين على الحواس والجملة العصبية :

يلتقط الدماغ النيكوتين المنحل في دم المدخن بسهولة فائقة، ويعمل بتأثيرات معقدة، ومتعددة الاتجاهات، فهو منبه عصبي ومهدئ نفسي إلى جانب آثاره الضارة، فهو منبه في حالات الانحطاط الجسمي والفكري، ومهدئ في تأثير حسي يرتبط بمذاق الدخان ورائحته ورؤيته تصاعد الدخان.

أما التنشيط المنسوب للتدخين، فما هو إلا تنبيه فيزيولوجي ضار تال لتأثير النيكوتين بسبب حظه على إفراز الأدرينالين وهذا الأخير يحرر الغليكوجين من الكبد والعضلات فيزداد سكر الدم ويشعر المدخن بنشاط، لكن الأدرينالين مقبض وعائي أيضاً، وإن الإسراف في التدخين يعرض صاحبه بفعل الأدرينالين المفرط إلى استنفاد مخدرات النشاط عندهم وإلى تعرضهم إلى نقص دائم في سكر الدم وإلى الشعور بالتعب المزمن (٥).

تلك التأثيرات من تنبيه وتهدة تحدث لدى المعتاد.

أما غير المعتاد فإن إسرافه في التدخين في وقت ما قد يعرضه للإنسمام الحاد بالتبغ بأعراضه التي سبق وذكرناها.

والمدخن عصبي المزاج يثور بسهولة وقليل القدرة على التركيز.

ويحدث التدخين نقصاً في القدرة الكهربائية للدماغ وتصلبات عصيدية في شرايينه بفعل المركبات القطرانية الثقيلة، وقد يظهر نوباً صرعية كامنة(١٠).

وللتدخين تأثير واضح على الأعصاب حيث تنقص ترويتها بما يحدثه من تقبض وعائي

ولتأثيره السمي المباشر عليها، ويتجلى ذلك برجفان بالأطراف وفقدان حاسة الذوق
وصداع وآلام عصبية في الأطراف (١٠).

والتدخين يضعف الذاكرة لتأثيره المنبه على الدماغ ولأن الإفراط في استعمال المنبهات
يورث الفتور (٢).

وفي دراسة شملت ٦٨٠٠ طالب تبين وجود علاقة واضحة بين حاصل الذكاء والتدخين
وكانت نسبة الذكاء عند المدخنين أقل، ومتناسبة مع درجة الانسمام بالتبغ (١١).

وتصاب العين بالتهابات متكررة في الملتحمة وجفاف الأجفان، كما يلتهب العصب
البصري لنقص الوارد من الفيتامين ب١٢ عند المدخن بسبب مادة السيانيد التي يحويها
دخانها والتي تتلف هذا الفيتامين.

خطر التدخين على جهاز الهضم :

الفم هو المستقبل الأول للسجائر والشفة بالرض وحرارة الاحتراق ومع تماس التبغ لها
يمكن إصابتها بالسرطان، فقد تأكد أن ٩٠% من سرطانات الشفة تحدث عند المدخنين.

وتضعف حاسة الذوق عند الإدمان ويتسخ الفم مما يؤهب كثيراً إلى التهاب البلعوم
واللوزات المتكرر، كما تكثر تقرحات اللثة واللسان، وقد تظهر طلاوة بيضاء هي مقدمة
لتطور سرطان اللسان.

وقد تلتهب الغدد اللعابية في البداية وتضخم ثم يؤدي الأمر إلى تليفها وضمورها.

أما المرئ فإن نسبة حدوث السرطان فيه عند المدخنين عالية وقد تحدث تشنجات في
المرئ يرافقها عسرة بلع.

وتتضرر مخاطبة المعدة والأمعاء مع الاستمرار في التدخين ويساعد ذلك على حدوث
القرحة الهضمية، ويعتبر التدخين ضاراً جداً عند وجودها إذ يعاكس التئامها وقد يؤدي
إلى نزفها الصاعق أو انتقابها، وكلاهما خطر على الحياة.

وتنقص حركات الأمعاء الحوية مما يؤدي إلى إصابة المدخن بالإمساك وإلى نقص في

الشهية وعسرات في الهضم.

ونظراً لأن النيكوتين يستقلب في الكبد فإن تراكمه فيها يؤدي إلى تسمم الخلية الكبدية وحدوث القصور الكبدي وقد يؤدي إلى تشمع الكبد أو أن يتطور إلى الأسوأ وإلى الإصابة بسرطان الكبد، كما تكثر الإصابة بسرطان المعثكلة عند المدخنين.

خطر التدخين على الجهاز البولي والوظيفة الجنسية التناسلية :

كتب البروفسور الروسي إ.م بارودمنسكي (١٢) يقول : إن أكثر السريريين يعتبرون التدخين واحداً من الأسباب الهامة جداً لحدوث العنانة وخاصة عند مشاركته لعوامل أخرى مؤذية كالغول. وتشير التجارب أن النيكوتين يزيد في بادئ الأمر من قابلية الاستثارة في المراكز العصبية الجنسية.

وعند الإدمان تتناقص قابلية الإثارة في تلك المراكز حتى الانطفاء. كما أن للنيكوتين تأثيراً سميّاً على مركزي النعوظ والدفق النخاميين. وتأثيره هذا يفضي إلى ضعف فاعلية النعوظ، لكن هذا قد تسبقه مرحلة تشتد فيها سرعة الاستثارة مع ما يرافقها من سرعة الدفق (الإنزال).

ويؤكد بارودمنسكي أيضاً أن الإفراط في التدخين هو من أسباب اضطراب تشكّل الحيوانات المنوية والذي يؤدي إلى العقم. فالتدخين بما فيه من حمض سيان الماء له تأثير سمي على الأنابيب المولدة للنطاف ضمن الخصية فيقل إنتاجها من النطاف ويشوهها.

والحقيقة فإن التدخين (١٠) يؤثر على كامل الأفعال الانعكاسية المؤدية في النهاية للقيام بالعمل الجنسي، بدءاً من رائحة الكريهة التي تنفر المعافى من صاحبه وتخفف لديه الرغبة في اللقاء، علاوة على أن الاضطرابات الوعائية التي تتجم عن التدخين، وخاصة أثر النيكوتين الثابت في إحداث العصيدة الشريانية، والتي يمكن أن تحدث في الشرايين المغذية للقضييب، فتقل ترويته وقد يفقد القدرة على الانتصاب.

فإذا أضفنا إلى ذلك كله ما ذكرناه من تأثيرات سمية للتدخين على الغدد الصماء المشرفة على عمل الخصيتين، وعلى المراكز الجنسية النخاعية، مما يقلل من الاستجابة العصبية للمثيرات الجنسية، ويؤدي بدوره إلى ضعف النعوظ وعدم قدرته على الاستمرار المدة الكافية لتأدية

العمل الجنسي.

أما عند المرأة، فإن تقرير الكلية الملكية الطبية البريطانية لعام ١٩٩٢ والذي يبحث في تأثيرات التدخين على الأجنة فقد جاء فيه ما يلي(١٣): يؤدي التدخين عند الحوامل إلى كثرة الإجهاض والإملاص (ولادة أجنة ميتة) وإلى كثرة حدوث الخداج (الولادة قبل الأوان) وإلى نقص في وزن الوليد، وكثرة وفاة الرضع في الشهر الأول من ولادتهم، مع كثرة حدوث العيوب الخلقية.

ويؤكد التقرير ن الوفاة في المهد ترجع في كثير من الأجيال إلى تدخين الأبوين في المنزل، كما يكثر في تلك المنازل إصابة الأطفال بالربو والأمراض التنفسية وأن ثلث حالات الصمم عند الأطفال يعود إلى أن أحد الأبوين مدخن.

وكان سمبسون (١٤) أول من نشر عام ١٩٥٧ بحثاً عن تأثير التدخين على المواليد لأمهات مدخنات. كما أكد Lowe [1] أثر التدخين على صغر حجم ووزن المولود وإلى ولادة أجنة ميتة وإلى زيادة العيوب الخلقية وخاصة في القلب.

ويعود ذلك إلى عوز الأوكسجين الدائم في دم الحامل للإنسمام المزمن بأول أوكسيد الفحم الذي يشل عمل قسم من الخضاب الدموي، كما أن النيكوتين يضيق الأوعية المغذية للمشيمة مما ينطلق معه مادة التيوسيانات الذي ينطلق من دم الأم إلى الجنين والذي يملك تأثيرات تؤخر نمو الجنين وأخرى مشوهة [2].

وتؤكد الأبحاث (١٥) أن الشريان المبيضي يتأثر بشكل خاص من تأثيرات النيكوتين المقبضة مما يؤثر سلباً على إنتاج الهرمونات الجنسية المبيضية.

كما أنه يؤخر إفراز الهرمون الملوثن L.H مما يباعد في حدوث الإباضة وما ينتج عن ذلك من قلة الخصب والإنجاب .

والنيكوتين يطرح مع الحليب عند المرضع مما يؤدي إلى إنسمام الرضيع وحدوث أقياء متكررة وتشنجات وتسرع في قلب الوليد (٢).

أما المرأة غير المرضع فتفرزه أيضاً من غدة ثدييها ثم تعود فتمتصه حيث نجد أن تركيزه في مفرزات الثدي يعاد ٥ _ ١٠ أضعاف تركيزه في الدم وتدل الأبحاث (١٥).

أن أنسجة الثدي تتخرش به ويمكن أن يؤدي للإصابة بسرطان الثدي .
والتدخين ينقص من إفراز الهرمون النخامي المدر للبول ADH ويؤهب للإصابة بسرطان
المثانة.

تلوث البيئة : وتزداد خطورة غاز أول أكسيد الفحم في الغرفة المكتظة بالمدخنين حيث يؤدي
التسمم المزمن به إلى اضطرابات هضمية وتنفسية تتظاهر بانقباض في الصدر ووهن
ونوبات من الصداع وأرق عند النوم (١).

ويؤكد تقرير لمنظمة الصحة العالمية (كانون الثاني ١٩٧٦) أن ٩٠% من حالات سرطان
الرئة تنجم عن التبغ علاوة على مساهمته الأكيدة في حالات " الجلطة " وأحداث جملة من
السرطانات في الحنجرة والمريء والبلعوم .

وينصح التقرير الحكومات جميعها بمنع زراعة التبغ وتسويقه لأن ضرر الدخان لا يقتصر
على المدخن بل يتعداه إلى المجتمع، فالتدخين يلوث البيئة وخاصة زوجات أو أزواج
المدخنين وأطفالهم الذين يعانون من أمراض خطيرة ومتعددة بسبب تدخين رب المنزل (١٣).

هل التدخين من المحرمات :

عرف العالم الإسلامي التبغ منذ عدة قرون، لكن آثاره الضارة وخواصه السمية لم تكن قد
درست بعد، وخاصة بعد الإدمان عليه لذا اضطربت فيه أقوال العلماء تبعاً لمعرفتهم الضحلة
عنه في زمانهم . وهذا ما يؤكد العلامة ابن عابدين في حاشيته في معرض حديثه عن النتن
: " فمنهم من قال بكراهته، وبعضهم قال بحرمة وبعضهم قال بإباحته " .

لقد استعرضنا في بحثنا اليوم الكم الهائل من الأضرار والمخاطر التي عرفها الأطباء عن
التدخين، والتي تعاني منها البشرية اليوم، وإذا كنا قد عرفنا أن النبي صلى الله عليه وسلم
إنما أرسله الله لهذه الأمة، ليحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث، بعد هذا نحب أن نتساءل:
هل يمكن لعاقل أن يعتبر التدخين من الطيبات؟ أم هو حتماً من الخبائث؟

قبل أن نجيب على هذا السؤال، سنعرض بإيجاز خلاصة لأحدث التقارير الصادرة عن
المؤسسة الصحية العالمية عن مخاطر التدخين، منها تقرير الكلية الملكية البريطانية للأطباء (١٣
عام ١٩٧٧ الذي يقول أن الإدمان على النيكوتين أكثر حدوثاً من الاعتماد على الخمر.
فإذا شرب الخمر مئة شخص فإن ١٠ — ١٥% منهم سيكونون مدمني خمر وبالمقارنة فإن

السجائر إذا دخنها ١٠٠ شخص فإن ٨٥% منهم سيصبحون مدمنين له.

وفي تقرير إيفريت كوب وزير الصحة الأمريكي (١٣) أن ضحايا التدخين في الولايات المتحدة تبلغ ٣٥٠ ألف نسمة نتيجة التدخين المباشر و ٥٠ ألفاً نتيجة التدخين السلبي ، أي أن ٤٠٠ ألف ضحية يلاقون حتفهم سنوياً بسبب التبغ أما الخمر فإنها تقضي على ١٢٥ ألف نسمة سنوياً، أما باقي المخدرات مجتمعة فإن ضحاياها تبلغ ٦ آلاف نسمة .

وتقدر منظمة الصحة العالمية أن ضحايا التبغ تتجاوز مليون شخص كل عام في حين لم تتجاوز ضحايا القنبلة الذرية ٢٦٠ ألف شخص، وأن ضحايا الإيدز المرعب منذ ظهوره عام ١٩٨١ وحتى عام ١٩٩٢ قد بلغت ربع مليون شخص كما وردوا في سجل المنظمة، والتي تعتبر أن هناك نقصاً في التبليغ وترفع الرقم إلى ١,٧ مليون ضحية .

ويؤكد تقرير منظمة الصحة العالمية لعام ١٩٨٦ أن استخدام التبغ بكافة صورته تديناً وسعوطاً يعيق الوصول إلى قرار المنظمة وهو الصحة للجميع عام ٢٠٠٠ .

ويؤكد التقرير أن التوقف عن استعمال التبغ سيؤدي إلى تحسين المستوى الصحي وإطالة الأعمار بما لا تستطيعه جميع الوسائل الأخرى.

أما تقرير الكلية الطبية الملكية البريطانية لعام ١٩٨٣ فيؤكد أن ثلاثة من عشرة أشخاص سيلاقون حتفهم بسبب أمراض ناجمة عن التدخين وأن أغلب الباقيين سيعانون من أمراض لها علاقة بالتدخين .

ومن الناحية الاقتصادية، تقول إحصائية طريفة من ألمانيا أن الدولة حصلت على ١٢ ألف مليون مارك ضرائب على التبغ، بينما كان محصلة الخسائر المادية الناجمة عن تدخين ٨٠ ألف مليون مارك علاوة إلى وفاة ١٤٠ ألف شخص سنوياً بأمراض ناجمة عن التدخين وإصابة ١٤٠ ألف آخرين .

والسعودية وحدها من بين الدول العربية تدفع أكثر من ١٠٠ مليون ريال سنوياً ثم سجائر مستوردة علاوة عن أنها تنفق آلاف الملايين في مداواة مرضى التدخين.

وبعد هذا يقول الدكتور محمد علي البار (١٣): إنه من اليسير إدراك حتمية تحريم المخدرات، فإن التبغ الذي يفوقها في ضحاياها لاشك سيكون أشد حرمة . وأن القول بإباحته أو بکراهته لأن بعض الناس لا يضرهم التدخين فهذه حجة غير مقبولة لأن أضراره كثيراً ما تتراكم في

البدن دون أن تظهر إلا بعد إجراء فحوص دقيقة، حتى ولو سلمنا بذلك فإن حرمة لا تسقط بعد أن علمنا أن الغالبية العظمى ممن يتعاطونه يتأذون به وبدرجات متفاوتة حتى الموت.

وهذه حجة لو صح استخدامها في تحليل الخمر فإن بعض الناس قد لا يبدو عليهم أي ضرر ظاهر، فالتبغ الذي يقتل الملايين ويسبب الأمراض الوبيلة لعشرات الملايين جعل المفكرين العقلاء في العالم مثل السناتور الأمريكي **روبرت كينيدي** يسمي شركات التبغ بالقتلة، وجعلت وزير الصحة الأمريكي يسميهم "تجار الموت".

صحيح أن التدخين لم يكن زمن النبوة فليس في شرعنا نص خاص بتحريمه لكن الإسلام جاء بقواعد عامة تضمن سلامة المواطن في المجتمع الإسلامي، فقوله تعالى : **(ولا تلقوا بأيديكم في التهلكة)**. وقوله تعالى : **(ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيماً)**.

تؤكد تحريم كل ما يورد الإنسان إلى الهلاك، التدخين واحد منها كما هو مسلم به.

والإسلام يحرم الانتحار والتدخين انتحار كما أوضحنا .

يؤيد هذا ما جاء في الحديث النبوي الكريم : **" لا ضرر ولا ضرار "** [3] وقول النبي صلى الله عليه وسلم : **" من تحسى سماً فقتل نفسه فسمه يتحساه في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً "** رواه البخاري .

والتدخين يدخل ضمن المهدئات القوية والتي تصنف تحت اسم المفترات وقد ورد عن أم سلمة رضي الله عنها : **" نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كل مسكر ومفتر "** رواه أحمد وأبو داود بسند حسن.

وكما رأينا فإن ما يتفق على التدخين من ملايين الدولارات (لحرقه في الهواء) وكثيراً ما يمتنع المدمن عن دفع حاجيات عياله، لينفقها على سجائره، كل هذا يجعل منه إسراف وتبذير محض والله سبحانه وتعالى يقول : **(ولا تبذر تبذيراً، إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين) .**

فإضاعة أموال الفرد والأمة واضحة مع شيوع هذه العادة القبيحة، وكذا الخسائر الناجمة عن زراعة التبغ بشغلها مساحات واسعة من الأراضي بدلاً من زراعة القوت الضروري ، علاوة على الخسائر الفادحة التي تتجم عن الحرائق التي يسببها إلقاء أعقاب السجائر المشتعلة هنا وهناك، حيث يقدر أن ثلث الحرائق التي تنتشب في العالم تنجم عنها (١٣).

وقد حرم التدخين عدد كبير من مشاهير علماء الأمة الإسلامية منهم الشيخ محمد الخواجه،

من كبار علماء الدولة العثمانية والشيخ عبد الله بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب والعلامة البجيرمي في حاشيته على الخطيب، والعلامة إبراهيم اللقاني في رسالته " نصيحة الإخوان باجتئاب الدخان" والعلامة الشيخ سالم السنهوري، والإمام المهدي زعيم طائفة المهديّة في السودان، كما أجمع علماء المملكة السعودية على تحريره ومن أبرزهم الشيخ عبد الله بن باز المفتي الحالي، كما حرمه مشاهير علماء سورية ومنهم الشيخ بدر الدين الحسني والشيخ على الدقر والشيخ أحمد الحامد والإمام المحدث الشيخ محمد جعفر الكتاني(١٦).

كما نشر المكتب الإقليمي لمنظمة الصحة العالمية رسالة عام ١٩٨٨ بعنوان " الحكم الشرعية في التدخين " وفيها فتاوى عشرة من كبار علماء مصر المعاصرين وعلى رأسهم الشيخ **جاد الحق علي جاد** علي جاد الحق شيخ الأزهر مفتي الديار المصرية السابق جاء فيها: " أصبح واضحاً جلياً أن شرب الدخان، وإن اختلف أنواعه وطرق استعماله، يلحق بالإنسان ضرراً بالغاً، إن عاجلاً أو آجلاً، في نفسه وماله ويصيبه بأمراض كثيرة ومتنوعة وبالتالي يكون استعماله محرماً بمقتضى النصوص التي سبق إيرادها، ومن ثم فلا يجوز للمسلم استعماله بأي وجه من الوجوه حفاظاً على الأنفس والأموال، وحرصاً على اجتناب الأضرار التي أوضح الطب حدوثها " (١٣).

سبيل الإقلاع عن التدخين :[4]

التدخين عادة بدوافع نفسية واجتماعية تقوى وتتأصل بالتأثير النيكوتيني على الجهاز العصبي المركزي ونتيجة للترابط الفكري النفسي بين التدخين ومواقف المسرة والانفعال(٥).

فالشاب يبدأ بالتدخين بدافع التقليد أو الموضة أو التسلية ثم يصبح عادة وديناً ، يتقوى بفعل النيكوتين على الدماغ. وإن الانقطاع عنه لا يسبب أي خلل وظيفي أو عضوي، عدا بعض الظواهر الانفعالية النفسية أو الشعور بالضيق لعدم ممارسته لهذه العادة.

والتدخين يختلف عن إدمان المخدرات بأنه عادة مكتسبة ولذا فإن الانقطاع عنه يجب أن يكون بالاقتراع والإرادة لتركه ومنع عوارض التسمم المزمن به .

وأن يكن الانقطاع تماماً لا تدريجياً وإن الاضطرابات النفسية التي يمكن أن تظهر عند الانقطاع عن التدخين كسرعة التهيج تزول بعد ١-٢ أسبوع (٣).

فعلى المدخن أن يحزم أمره ويقوي إرادته ويعزم على تركه فوراً مع اقتناعه بأضراره، ويمكن لمن تضعف إرادته أن يتقوى بالمجتمع على نفسه فيعلن على ملأ أنه عازم على تركه وأن يستفيد من الظروف المساعدة كشهر الصيام، وأن ينتق فترة الفطام المناسبة حيث الظروف المحيطة به لا تحمل اضطرابات تمس المدخن.

وتعطي بعض العلاجات لمساعدة العاجزين عن قطع التدخين (٥) بمحض إرادتهم كاللوبيلين [5] الذي يسبب قرصاً تجاه التدخين، كما أن إعطاء فحمت الصوديوم الثنائية Bicarbonatede Soude بمقدار ٣×١ غ يومياً موزعة على وجبات الطعام يساعد على إنقاص عدد السجائر فهي بجعلها البول قلوباً تنشط إعادة امتصاص النيكوتين [6].

أما الأعراض الناجمة عن قطع التدخين من الشعور بحس فراغ ووهن وهياج ، أو من قبض وسعال فيمكن مكافحتها بتناول بعض المنشطات والأدوية المقوية وبإملاء وقت الفراغ برياضات نافعة ، وتعطي المهدئات في حالات الهياج والغضب عند عصبي المزاج وإعطاء مركبات اللوبيلين المساعدة.

وفي الختام :

حري بالإنسان العاقل بعد انتضاح الأضرار البالغة للتدخين ألا يقع أسيراً لهذه العادة القبيحة التي تذهب المال وتجلب الكثير من الشرور وحري بالمجتمع أن ينظم حملات المكافحة لتجنب ويلات التدخين على الفرد والمجتمع ، وحري بالقادة والمربين والأطباء، الذين هم قدوة المجتمع أن يمتنعوا عن التدخين وخاصة في المجتمعات العامة وأثناء العرض التلفزيوني أو السينمائي، فهذه نقطة هامة يجب أن يلحظها العاملون في مجال محاربة التدخين، وخاصة على أولئك، ممن يكتب أو يخرج المسلسلات أو المسرحيات إيلاء هذه النقطة أهميتها، وعرضها حين يخرج المسلسلات أو أضرارها والتنفيذ منها، فالمشاهدون، وخاصة من اليفع والشباب، في أكثرهم مقلدون لمن يحبون من الممثلين والمشاهير (٢).

مراجع البحث :

١. الوجيز في الطب الإسلامي : د. هشام الخطيب، دار الأرقم، عمان ١٩٨٥.
٢. الطب النبوي والعلم الحديث: د. محمود ناظم النسيمي — ١٩٩١.
٣. محاضرات في الأمراض الباطنة (الأمراض ذات المنشأ الكيميائي) د. فيصل الصباغ.
٤. مقالة " النيكوتين سم فتاك " د. محمد الهواري، مجلة حضارة الإسلام، المجلد ١٤، العدد ٩/٨ —

١٩٧٣.

٥. مقالة التدخين وسرطان الرئة وغيره من الأمراض، مقالة مترجمة، المجلة الطبية العربية، دمشق — تموز ١٩٦٤.

٦. مقالة مضار التدخين ، مترجمة عن مجلة Revue de Porticien المجلد ٢١ العدد الأول لعام ١٩٧٢ . نشرتها المجلة الطبية العربية في عددها الصادر في آذار ١٩٧٢.

٧. مقالة التدخين والوظيفة التنفسية، المجلة الطبية العربية — حزيران ١٩٦١.

٨. مقالة التدخين والسرطان، المجلة الطبية العربية آذار ١٩٦٦.

٩. مقالة أمراض القلب والتدخين، مترجمة، حضارة الإسلام المجلد ١٨ العدد ٢ لعام ١٩٧٧.

١٠. الطب الوقائي في الإسلام : د. عادل بربور وزملاؤه دمشق ١٩٩٢.

١١. مقالة التدخين وحاصل الذكاء، المجلة الطبية العربية، العدد ٧ كانون أول ١٩٦٣.

١٢. الإضطرابات الجنسية عند الذكور: البروفسور إم بارود منسكي، الدار الطبية للنشر (بالروسية) موسكو ١٩٦٨

١٣. هل التبغ والتدخين من المحرمات ؟ د. محمد علي البار، دار المنارة — جدة — ط ٢ — ١٩٩٤ز

١٤. الجنين المشوه والأمراض الوراثية، د. محمد علي البار دار القلم دمشق ١٩٩١.

١٥. الضار والنافع وتأثير المخدرات والكحول والتدخين — د. عبد اللطيف ياسين ، مؤسسة الرسالة، دمشق ١٩٩٣.

١٦. حكم التدخين عند الأئمة الأربعة للإمام محمد بن جعفر الكتاني، مكتبة الغزالي دمشق ١٩٩٠.